# عبير سلطان :قصة عن اللطف الإنساني

## مدرسة ترحيبية

قرب مدينة مادبا التاريخية، تقع قرية أم البساتين الصغيرة، التي تتوسطها المزارع وأشجار الزيتون .هنا التقيتُ مع عبير سلطان، المعلمة في المدرسة الثانوية للبنات المحلية .شعرتُ ببعض التوتر؛ فخبرتي في المدرسة الثانوية لم تكن الأفضل، وعادة ما أتجنب كل ما يتعلق بها .ولكن عندما خرجت عبير لاستقبالي عند البوابة، احتضانها الدافئ جعلني أشعر بالراحة فوراً.

تعرفي على عبير وحكمتها في الحياة علمني دروساً لا تقدر بثمن عن عمق اللطف الإنساني، وأهمية تجاوز مسؤولياتنا المعتادة، والأهمية القصوى للاعتناء ببعضنا البعض – خاصةً بالجيل الأصغر.

عندما دخلنا المدرسة، لفتت انتباهي الجدران الملونة التي رسمها الطلاب بأنفسهم .كان الأمر مختلفاً تماماً عن الصورة الباردة والجافة التي كنت أتخيلها عن المدرسة .كانت الممرات تعج بالحركة إذ كان وقت الاستراحة .كانت الفتيات يركضن هنا وهناك، بعضهن يلوح أو ينادي" مرحباً "بالإنجليزية .رددت التحية، محاولتاً أن أبدو ودودة وواثقة، ولكن لم أستطع إلا أن أبذل جهداً للاختباء خلف عبير بينما كانت تقودني إلى مكتبها.

دخلنا غرفة صغيرة مشرقة، عليها مكتب مغطى بالأوراق .قدمت لي عبير الشاي الأردني التقليدي - حلو بدرجة تجعلك تشعر بألم في أسنانك لكنه بالضبط ما أحتاجه لتهدئة أعصابي - وبعض الوجبات الخفيفة .كنا نتحدث بينما يدخل ويخرج المعلمون والطلاب - بعضهم يحمل أسئلة، وآخرون أوراقاً، وآخرون يتوقفون للتحدث فقط .عبير ليس لديها حصص دراسية حتى وقت لاحق من اليوم، لذا تقضي صباحها في إدارة الأعمال الإدارية.

دخلت مديرة المدرسة الغرفة فجأة ، وهي امرأة نشيطة ذات صوت قوي، .كانت تشير بحركات واسعة وتصرخ بشيء بالعربية، ولوهلة، تساءلت إن كنت قد ارتكبت خطأ ما .لكن المعلمين الآخرين ضحكوا وطمأنوني أن هذه ببساطة هي طريقتها الحماسية في الترحيب بي في المدرسة.

بعد شاي وفطور مريح، وصل المترجم، وعندما دق جرس المدرسة لينهي فترة الاستراحة، أغلقت عبير باب مكتبها .حان وقت بدء المقابلة.

## الجذور :ارتباط بالماضي

وُلدت عبير في مخيم للاجئين الفلسطينيين في مادبا .هربت عائلتها من القدس بعد النكبة في عام1948 ، وهي واحدة من أكبر حالات التهجير والاقتلاع للفلسطينيين في التاريخ، نتيجة لإنشاء دولة إسرائيل وما تلا ذلك من عنف وطرد للفلسطينيين من ديارهم.

تخبرني عبير أنها وُلدت أيضاً في المخيم عام1979 ، ولا تزال عائلتها تعيش هناك .تزورهم كل يوم جمعة" .يمكنك زيارتهم يوماً ما "تقول" .المكان جميل هناك".

أنا مشوشة .كيف يمكن لجيل من عائلة أن يعيش في مخيم للاجئين حتى بعد 80 سنة؟ وكيف يمكن أن يكون" جميلًا"؟ سألتها أن تشرح.

أوضحت عبير" :المخيم ليس خيمة كما كنت أتخيل .إنه وحدة سكنية في مادبا بنيت للاجئين الفلسطينيين".

## طفولة مليئة بالفرح

بالنسبة لعبير، أهم شخص في حياتها هو والدها .على الرغم من أن العديد من الفتيات في ثقافتها يكن أقرب إلى أمهاتهن، فإن والدها هو ما تسميه" مساحتها الآمنة ."يمكنها التحدث إليه عن أي شيء، وهو دائمًا يحاول إيجاد حلول لها.

"عندما وُلدت، اشترى لي قلادة ذهبية وجعل من الممكن لي، فقط أنا، أن أدرس في جامعة خاصة "تقول وهي تضحك" .أنا طفلته المفضلة".

طفولة عبير مليئة بالذكريات السعيدة .كان لدى جدها مزرعة قرب مادبا، حيث كانت العائلة تجتمع للعناية بالمحاصيل - الحمص والزيتون والطماطم والخيار .كانوا يغنون الأغاني الشعبية الفلسطينية معًا ويرقصون الدبكة، الرقص التقليدي الفلسطيني.

على الرغم من أنها لم تزُر فلسطين قط، تشعر عبير بارتباط عميق بوطنها .مثل الكثير من الفلسطينيين المهجرين، تحلم بالعودة يوماً ما وتأمل في السلام في الشرق الأوسط - والعالم.

## الأم تيريزا

لطالما حلمت عبير بأن تصبح معلمة لغة عربية، على خطى والدها .لكن الحياة أخذتها في طريق مختلف، وفي عام2003 ، بعد تخرجها من جامعة الأسراء الأهلية، بدأت مسيرتها المهنية كمعلمة لغة إنجليزية للأطفال في المرحلة الابتدائية .على مر السنين، أنجبت أربعة أطفال - بنتين وولدين - وأخذت استراحة من مسيرتها المهنية .في عام2012 ، عادت إلى دراستها، حيث تابعت دبلومًا عالياً في التكنولوجيا.

في عام2021 ، انضمت إلى مدرستها الثانوية الحالية، حيث كانت جزءًا أساسيًا من تنفيذ مبادرة" المدرسة الخضراء"، وهو مشروع من إحدى دوائر التعاون في URI في مادبا .بالتعاون مع الطلاب والمعلمين من أماكن متعددة، قامت مدرستها بزرع الزهور والأشجار، وبدأت مشاريع لإعادة التدوير، وحولت الجدران برسومات حيوية.

عندما أسأل عبير عن أكثر اللحظات معنى في مسيرتها التعليمية، تتذكر أول عمل لها في المدرسة الابتدائية.

"كان هناك ولد اسمه سطام في الصف الأول "تبدأ" .كان يعاني من مشكلة في القلب وكان يجد صعوبة في الاندماج مع الآخرين .بينما لم يهتم به المعلمون الآخرون، كنت أحرص على الاهتمام به حتى يشعر بالأمان والراحة .حتى أنني ساعدته في تكوين صداقات .اليوم، هو في الجامعة وما زلنا على تواصل".

عندما أسألها عما تحب في وظيفتها أكثر شيء، يضيء وجهها" .الأطفال "تقول ببساطة.

العديد من الطلاب يأتون إلى عبير بأسئلتهم ومشاكلهم، وهي دائمًا ما تعاملهم بلطف .لقد أكسبها تفانيها لقب" الأم تيريزا "من مديرة المدرسة.

## "يجب أن تكون ودودًا مع الأطفال".

تشكَّلت فلسفة عبير التعليمية من تجربتها الخاصة في المدرسة .تتذكر معلمتها في اللغة الإنجليزية بحب، كانت تضع رسومات صغيرة على واجباتها المنزلية المصححة .هذه الأفعال الصغيرة من اللطف جعلتها تشعر بأنها مميزة، وما زالت تلك المعلمة على تواصل معها حتى اليوم.

لكن ليست كل ذكرياتها المدرسية إيجابية .فقد قامت معلمتها في الرياضيات ذات مرة بضرب يديها بعصا لأنها نسيت واجبها، مما جعل عبير تحمل كرهًا دائمًا للرياضيات.

تقول عبير عن هذه التجارب" :يجب أن تكون ودودًا مع الأطفال".

## ما وراء التعليم

بالنسبة للعديد من الطلاب، عبير هي أكثر من معلمة - هي صديقة ومرشدة.

تشارك عبير قصة عن فتاة من مدرستها الثانوية .توفيت والدتها عند ولادتها، فربتها جدتها .اعتنت عبير بتلك الفتاة كابنتها، أكثر بكثير مما هو معتاد من المعلمة، حتى أنها ذهبت معها إلى بعض الجمعيات الخيرية الدينية لشراء الملابس لها .كل صباح في المدرسة، كانت الفتاة تجري إليها وتعطيها عناقًا.

كانت هناك قصة مشابهة مع طالبة أخرى :توفيت والدتها وتزوج والدها امرأة أخرى لم تعاملها جيدًا .فاعتنت عبير أيضًا بهذه الفتاة.

المعلمون في المدرسة يتعاونون بشكل مستمر لدعم الطلاب الذين يحتاجون إلى المساعدة، سواء كانت تتعلق بالدروس أو القضايا الشخصية .أحيانًا يرافقون الفتيات المرضى إلى المستشفى، حيث أن العديد من الآباء لا يستطيعون مغادرة العمل أثناء الأسبوع لاصطحاب بناتهم .كما أسسوا جمعية مدرسية لتوفير الطعام والملابس والمساعدات المالية للعائلات المحتاجة.

## تأثير تدريب العناية الذاتية منURI

عندما أسأل عبير عن تدريب العناية الذاتية من URI الذي حضرته وكيف غيّر حياتها، تقول إنه ساعدها على أن تصبح أكثر ثقة.

"قبل، إذا انتقدني أحد، كنت إما أصمت أو أبكي .الآن، أشعر بأنني أقوى .أستطيع مواجهة التحديات والدفاع عن نفسي".

لقد ألهمها الاستماع إلى قصص نساء أخريات أثناء التدريب .فكرت عبير" :لماذا لست بهذه الثقة؟ يجب أن أدافع عن نفسي". "كانت تلك لحظة فارقة".

تؤمن عبير بأن النساء والفتيات بحاجة إلى المزيد من التدريبات لبناء الثقة بالنفس - ليس فقط في المدارس، بل في كل مكان. وفي مدرستها، تقول إن هناك حاجة ماسة إلى أخصائية اجتماعية، حيث يتولى المعلمون حاليًا هذا الدور إلى جانب واجباتهم العادية.

عندما أسأل عبير عما يمنحها القوة للاستمرار، كانت إجابتها بسيطة: "أنا أحب عملي. عندما أتقاعد، سأشعر بالتعب. أتعلم شيئًا جديدًا كل يوم، والروتين جيد بالنسبة لي"، تقول مبتسمة.

## مهمة ذات معنى

"لدي أيضًا قطط!" تقول عبير فجأة، وعيناها تضيئان بالفرح. "ثلاث قطط كبيرة وستة صغار." ثم تضحك وتضيف: "كل مشاكلي مع زوجي بسببهم."

زوجها لا يحب القطط وغالبًا ما يقول لها: "إما أنا أو القطط!"

"حسنًا"، تقول عبير وهي تبتسم ابتسامة عريضة، "بالطبع أختار القطط!" بالنسبة لعبير، هم أيضًا أطفالها.